

المقامات اللزوميّة للسرقسطي⁽¹⁾:

أصولها، تحقيقها وقيمتها الفنيّة

محمّد عبد العظيم

جامعة تونس

انتقلت المقامة، كما انتقل غيرها من فنون الأدب والكتابة، من المشرق إلى المغرب.

وكانت الساحة الأدبية الأندلسية قد عرفت النثر بالموازاة مع وصول الشعر إليها. وتتابع فيها ظهور فنون الكتابة فعرفت القرون الأولى من الفتح الخطابة والرسائل

(1) هو أبو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله بن إبراهيم التميمي جمال الدين المازني السرقسطي الأشتروكي، من مواليد مدينة سرقسطة أو قرية اشتروكي بالتغر الأعلى الأندلسي. لا تذكر المصادر شيئاً عن تاريخ ولادته وأوائل حياته، غير أنها أشارت إلى كثرة ترحاله في سبيل العلم، فقد زار أهم المدن الأندلسية واستقر بقرطبة حتى توفي بها سنة 528هـ/1143م. ولكنه لم يرحل إلى المشرق كما كان يفعل أغلب علماء الأندلس. ورغم ذلك كانت نزعة الأدبية مشرقية حتى قيل فيه "سرقسطي البقعة مشرقية الزعة" وتشهد له أغلب المراجع بالتقدم في اللغة والإجادة في الشعر إذ عرف بكتاب له سماه "المسلسل في غريب لغة العرب"، حققه محمد عبد الجواد وإبراهيم الدسوقي الباسطي وطبع مرة أولى سنة 1957 بالقاهرة وأعيد طبعه سنة 1981. أما شعره فلم يجمع بعد بالعربية بينما ترجمه J.T.Monroe إلى الانكليزية ونشره ضمن مقال له بعنوان :

AL SARAQUSTI. Ibn Al Astarkawi: ANDALOUSI Lexicographer, Poet, and Author of Al maqamat al luzumiyya. Journal of arabic littérature 28 (1997).

ومن خلالها حكم له بالإجادة في الشعر كإجادته في النثر.

والمكاتبات الإدارية بأنواعها. ثم كان وصول المقامة في أواخر القرن الرابع ، أي مباشرة بعد ظهور مقامات الهمذاني وقبل أن يؤلف الحريري مقاماته. و"كان من أول المتذوقين لها (مقامات الهمذاني) الناسجين على منوالها ابن شهيد وعارضها ابن شرف القيرواني وأبو المغيرة بن حزم ... " (الداية، تاريخ ... 218). ويعد ظهور المقامات بالأندلس بعد ذلك، أمرا طبيعيا بل مبكرا من الناحية الزمانية . وهو ما يتفق فيه المؤرخون والدارسون جميعا⁽¹⁾ عدا ما جاء على لسان حازم عبد الله خضر من قول "ولم يكن غريبا أو مستبعدا أن يتأثر الأندلسيون بفنّ المقامات الذي ظهر في وقت مبكر في المشرق فكان صداه في القرن الخامس". (النشر الأندلسي ...، 322) وقد عارضه قصي عدنان سعيد الحسني بالقول وليس كما يزعم د.حازم عبد الله خضر من أن ظهور المقامات قد تأخر إلى ما بعد القرن الرابع ، لأن ذلك مرفوض من الناحية الزمنية، إذا ما علما أن الأندلسيين أخذوا عن الحريري مقاماته منه مباشرة في بغداد والبصرة وكان ذلك قبل سنة 516هـ. وهو تاريخ وفاته" (فنّ المقامات ...، 13) .

(1) انظر بصدد هذا التقسيم : فن المقامات بالأندلس ... لقصي عدنان سعيد الحسني ص ص 20..42، حيث حدد الكاتب مراحل السماع المختلفة وأهم الشروح الأندلسية على المقامات تم بداية تأليف المقامة بالأندلس. وانظر كذلك لكنثيو فيراندو، المقامات اللزومية لأبي الطاهر السرقسطي، دراسات أندلسية عدد 27 جانفي 2002. ص ص 57و58. ويتبنى محمد رضوان الداية في كتابه تاريخ النقد الأدبي في الأندلس التقسيم ذاته ويعرف بأهم الناقلين والشارحين والمعارضين ، أنظر ص ص 217-218 منه. وكذلك فعل محمود طرشونة في بحثه فنّ المقامة في الأندلس، حوليات الجامعة التونسية عدد 28، 1989 ص 146وما بعدها .

وليس الخلاف بين الرجلين حول تاريخ دخول المقامة إلى الأندلس وإنما حول اعتباره جاء متأخرا عن تاريخ ظهورها في المشرق.

وتتفق جميع المراجع على أن مقامات الحريري دخلت الأندلس على عهد مؤلفها، لأن العديد من الأندلسيين سمعوها عنه أو عن بعض تلاميذه مباشرة، وعادوا إلى موطنهم وحدثوا بها عنهم. واستقبلت هذه المقامات خاصة استقبالا لم تحظ به مقامات الهمذاني قبلها. فقد وجدت المقامات جميعها على حد عبارة محمد مصطفى هدارة "قلوبا متلهفة عاشقة وعقولا منفتحة مستوعبة وكان لقامات الحريري بصفة خاصة أثر وأي أثر..." (المقامات اللزومية، المقدمة، 8)

ويؤكد محمد رضوان الداية ذلك مقارنا بين حظ الأثرين، فيقول: "... ولكن مقامات بديع الزمان لم تتمكن من الأندلسيين مثل تمكن مقامات الحريري الذي، خلف بديع الزمان، فانصرفوا إليها بالمدارس والرواية والشرح والمعارضة وفشا فيهم ذكرها حق قال ابن سعيد عنها "إنها شرقت وغربت حتى صار ابتذالها عيبها (عنوان المرقصات ...، 104) (تاريخ النقد 218).

ولقد حدد الداية بقوله "انصرفوا إليها بالمدارس والرواية والشرح والمعارضة" المراحل التي مر بها فن المقامة في الأندلس، وهي باتفاق الجميع ثلاث مراحل: مرحلة الرواية وقد نقلت فيها النصوص الأصول من المشرق إلى المغرب. ومرحلة الشرح التي عرفت فيها مقامات الحريري أهم شروحاتها وهو شرح الشريشي. ثم مرحلة المعارضة. وعرفت ظهور المقامات الأندلسية التي تبع فيها مؤلفوها منهج الحريري في الكتابة

المقامات الزومية دراسة أندلسية

خاصة. ولذلك وقف الدارسون على أوجه التشابه العديدة بين هذه المقامات وما ألفه الأندلسيون حتى عدت عند أغلبهم من قبيل المعارضة لا الابتداء.

ويلخص حازم عبد الله خضر هذه العلاقة بالقول : "...حين نتجاوز هذا القرن إلى القرن السادس نلاحظ من التأمل في أسماء الأدباء الأندلسيين الذين أنشأوا المقامات ونسجوا على منوال المشاركة ، نلاحظ تأثرهم بالحريري بصورة واضحة. ولعل من أسباب ذلك شهرة هذه المقامات أولاً ودراستها من قبل أدباء الأندلسيين على صاحبها الحريري نفسه ببغداد مما ساعد على تطويرها وبلورة فنها وفتح الطريق أمام الأدباء لمعارضتها بمقامات احتفظت المصادر بنصوصها وأثبتت أصل نشأتها ودوافع إنشائها" (النثر الأندلسي...، 324).

ومضى بعض الدارسين في تتبع العلاقة بين مقامات الحريري والمقامات الأندلسية وترددت عندهم خاصة لفظتا "المحاكاة" و"المعارضة" وتحيلان معاً على ما بين الاثنين من علاقة فنية أساساً. فقد قال محمد مصطفى هدارة متحدثاً عن مقامات الحريري وأثرها في كتاب الأندلس : " فقد أقبل على محاكاتها عدد من الكتاب الأندلسيين من أمثال أبي جعفر عبد الرحمان الأزدي المعروف بابن القصير (ت 575هـ/180م) " (المقامات الزومية، ط مصر، 8).

ويكاد محمد رضوان الداية يجعل تاريخ المقامة في الأندلس تاريخاً لمعارضة المقامات المشرقية إذ يقول : " والمقامات التي عارض بها أصحابها البديع والحريري

كثيرة، وبعضها مجموع في كتاب مثل " المقامات الزومية" للسرقيسي.. وقد استمرت المعارضات إلى حوالي القرن التاسع " (تاريخ النقد...، 218).

ويبدو من خلال النصوص أن هذا الحد التاريخي لم يكن محل اتفاق، إذ قال محمود طرشونة وهو ينظر إلى المقامة الأندلسية من حيث مدى مطابقتها لخصائص الكتابة في المقامات الأصول : "الواقع أن مرحلة الأقول بدأت قبل القرن التاسع الهجري بكثير، فقد بدأت منذ فرغ السرقيسي من تأليف مقاماته الزومية. فكان آخر من تقيد بقواعد هذا الجنس الأدبي وأثره وحافظ بالخصوص على جو الكدية فيه، ثم واصل من بعده اليهود الأندلسيون هذا الفن فترجموا بعض رموزه إلى العبرية وحاكوه، وأهم من يمثل هؤلاء المؤلفين هو بدون شك يهود الحريري" (فن المقامة...، 163).

ويكاد هذا الموقف، إذا فهم على حرفتيه، أن يحد من محاكاة المقامة الشرقية، في السرقيسي وحده ممن كتبوا المقامات بلغة الضاد في الأندلس. فالسرقيسي بإجماع الدارسين، هو أول من عارض مقامات الحريري. وذلك أمر طبيعي بالنظر إلى قرب ما بين الرجلين في التاريخ، وإن كان محمد الهادي الطرابلسي يذكر ذلك بشيء من الاحتباس إذ يقول: "ولكن السرقيسي يبدو أنه أول من عارضها" (مدخل...، 114). أما دليله على معارضة السرقيسي للحريري فقد وجدته في الفقرة التي صدرت بها المقامات الزومية ذاتها ⁽¹⁾ ونصها ، " هذه خمسون مقامة أنشأها أبو الطاهر محمد بن

⁽¹⁾ لم تعد الطرابلسي صاحب هذه الفقرة وعلق فعل مجيئها بالعبارة ذاتها : عبارة "جاءت في مقدمتها" والواقع أن صياغتها لا تساعد فعلا على التأكد من نسبتها إلى السرقيسي أو لغيره، كما أن محقق النص لم يحاول التحقيق في ذلك..

يوسف التميمي السرقسطي بقرطبة من مدن الأندلس عند وقوفه على ما أنشأه الرئيس أبو محمد الحريري بالبصرة، أتعب فيها خاطره وأسهر ناظره ولزم في نثرها ونظمها ما لا يلزم، فجاءت على غاية من الجودة والله أعلم" (المقامات اللزومية...، 3).

أما حازم عبد الله خضر فقد ذكر ذلك دون أدنى تردد أو احتباس ورأى أن "من تأثر بمقامات الحريري الأديب أبا الطاهر محمد التميمي السرقسطي المتوفى بقرطبة سنة 538هـ، فله " كتاب الخمسين مقامة" ، وهي المعروفة بالمقامات السرقسطية. وقد عارض بها مقامات الحريري الخمسين ولزم في نثرها المسجوع ما لا يلزم " (النثر الأندلسي...، 324).

ودفع الإقرار بأن مقامات السرقسطي محاكاة ومعارضة لمقامات الحريري، بعض الدارسين إلى البحث في وجه التشابه ومناحي الاختلاف بين الأثرين، عند وصف مقامات السرقسطي وتقديمها إلى القراءة. وكان ذلك خاصة في بحثين نشرهما مترجمين⁽¹⁾ لاثنتين من أساتذة الجامعة التونسية، خصصت بعض صفحات كل منهما للمقارنة بين الأثرين⁽²⁾. فبدا للطرابلسي " أن صلة مقامات السرقسطي بمقامات الحريري لا تقف عند أسماء الأعلام بل تصل إلى مستوى فنيات الكتابة وبنية الفقرة ونظام الإيقاع فيها

(1) نشر بحث محمد الهادي الطرابلسي "مدخل إلى دراسة المقامات اللزومية" وبحث محمود طرشونة "فن المقامة في الأندلس" في العدد 28 من مجلة حوليات الجامعة التونسية سنة 1988 .

(2) الطرابلسي ، مدخل...، 116-117 وطرشونة فن المقامة...، 158-159 خاصة.

أيضا" (مدخل...، 117). ورأى طرشونة أن السرقسطي ركز مقاماته " على معاني الكدية والرحلة والنقد الأدبي، وعلى بعض الأغراض الشعرية كالغزل والمهجع والغزل، وذلك في أسلوب مصنع يذكر بزخارف الحريري" (فن المقامة.. 146) ولم يكن السرقطيين في نظر طرشونة، مجرد ناقل لأسلوب الحريري الفني في كتابة المقامة، بل يراه " قد هدف إلى تجاوزه وإضافة عناصر تمكن من إثراء فنه وتعميقه، وإنّ لزوميه مالا يلزم على غرار المعري يثبت أن الأندلس لم تكن مجرد محطة سلبية بل كانت مرحلة خلاقة في تطور الجنس الأدبي" (فن المقامة 159).

أما مقامات السرقسطي في ذاتها ، فقد حظيت بنصيب ذا بال من اهتمام النقاد والدارسين حتى قبل طبعها ونشرها⁽¹⁾. غير أنه كان اهتماما يسيرا لم يتجاوز الوصف العام في نصوص مقتضبة وغالبا مكررة ومن أمثلة ذلك ما قاله بشأنها محمد رضوان الداية⁽²⁾ عندما وصفها بأنها " مسجوعة الأسلوب، التزم فيها أكثر من حرف، كما أنه التزم في كل واحدة من مقاماته طريقة خاصة في السجع، فبنى خمسا منها على الحروف: الهمزية والبائية والجيمية والدالية والنونية، وبنى اثنتين على نسق حروف ألف

(1) كانت طبعها الأولى سنة 1982 وقد حققها بدر أحمد ضيف وقدم لها محمد مصطفى هدارة وصدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب وكانت طبعها الثانية بتحقيق حسن الوراكلي وصدرت عن منشورات عكاظ... بالرباط سنة 1995 .

(2) طبع كتابه " تاريخ النقد الأدبي في الأندلس " لأول مرة سنة 1968 .

باء، واثنين آخرين على ترتيب الحروف الأبجدية وجعل أبو الطاهر مقاماته معرضا لإظهار براعته اللغوية ومقدرته الأسلوبية..." (تاريخ النقد...، 353).

واعتبر الطرابلسي صدور مقامات السرقسطي مطبوعة لأول مرة سنة 1982 "حدثا ذا بال جاء يثرى مادتها (المقامة) وينشط النقاش حولها" (مدخل...، 112) والأمر في تقديرنا، فعلا كذلك لأنه يتعلق بثالث أكبر مجاميع المقامات وأقدمها، إذ أصبح السرقسطي بمقاماته ثالثة الأثافي مع الهمداني والحريري، خاصة أنه أول من ألف "خمسين" مقامة كاملة بعدهما⁽¹⁾.

وبعد صدورهما مطبوعة كان الاهتمام بها أعمق وأدق⁽²⁾، إذ تناولها طرشونة بالوصف والتعليق في أكثر من صفحتين من مقاله المذكور. وخصها الطرابلسي ببحث أرادته "مدخلا إلى دراستها" كانت هي أهم عناصره. ولئن كان طرشونة قد اهتم منها

(1) يؤكد الجدول الذي ضمنه محمود طرشونة في بحثه آنف الذكر أن السرقسطي هو الوحيد الذي بلغت مقاماته هذا العدد ولا يذكر حازم عبد الله خضر من له خمسون مقامة بعد السرقسطي إلا زين الدين بن صقيل الجزري (ت701). بمقاماته المسماة "المقامات الزينية" حقق عباس مصطفى الصالي هذه المقامات وصدرت عن دار المسيرة سنة 1980 وصدر كتاب حازم عبد الله خضر النثر الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين سنة 1981 عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

(2) ذكر صاحب الطبعة المصرية أن نص المقامات اللزومية هو جزء أول من كتاب خصص جزؤه الثاني "لدراسة المقامات اللزومية والنثر في القرن السادس، ومدى تأثر السرقسطي. بمن سبقه من كتاب المقامات وخاصة بديع الزمان الهمداني والحريري" (ص45) ولكن يبدو أن هذا القسم لم ير النور بعد ويذكر الواركلي أيضا في صدر كتابه أن مع المقامات جزءا آخر فيه دراسة مفصلة عن المؤلف وأدبه المقامي يبدو أنه هو الثاني لم ينشر بعد.

المقامات الزومية دراسة أندلسية

بجانب المعاني خاصة، فقد اختار الطرابلسي أن يكون جانب المباني مشغله الأساسي.. والنص الموصوف والمدرّوس في كلا البحثين هو بالطبع المقامات الزومية كما جاءت في نسختها الأولى.

وتلا هاذين البحثين التونسيين ما خص به عباس هذه المقامات في كتابه "فن المقامة في القرن السادس"⁽¹⁾. ثم اعتمدها قصي عدنان سعيد الحسيني مصدرا أساسيا في بحثه "فن المقامات بالأندلس"⁽²⁾. ودرس من خلالها أهم خصائص فن كتابة المقامة الأندلسية.

ثم جاءت النسخة الثانية مختلفة عن الأولى بعض الاختلاف ولم نر من اهتم بها من الدارسين إلا ما أورده إكناثيو فيرا ندو في مقاله "المقامات الزومية لأبي الطاهر السرقسطي..." . فعمد إلى وصفها وصفا عاما مقارنا إياها بمقامات الحريري وميرزا خاصة ما تتميز به عنها فرآه ثلاثة أشياء.

أولها العدد، لأن عدد المقامات الزومية في نسخة الوراكلي تسع وخمسون. ويبدو أن صاحب البحث لا يوافق رأي من قال إن المقامات التسع ليست للسرقسطي بل لأحد من تلامذته ، غير أنه لا يزيد على ذلك بهذا الشأن.

(1) حسن عباس ، فن المقامة في القرن السادس "الإسكندرية، دار المعارف، 1986 ، وقد خص فيه المقامات الزومية بالصفحات 50-59-250-269 .

(2) قصي عدنان سعيد الحسيني ، فن المقامات بالأندلس ، نشأته وتطوره وسماته، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - الأردن ط I ، 1999 .

وثانيها ملاحظة أن في بعض مقامات السرقسطي " يضاف شخص ثالث إلى الشخصين المؤلفين في المقامات من راو ومكد هذه الشخصية الثالثة واسمها المنذر بن حمام تقوم بدور الراوي دون أي مشاركة في أحداث القصة". (المقامات...، 30). وكان الطرابلسي قد أشار قبله إلى هذه الشخصية الثالثة التي " تنقل الحديث ولا تتدخل بالكلام" فرأى أنه والسائب بن تمام من ناحية امتداد للحارث بن همام راوي مقامات الحريري لأنهما يقاربانه في أصوات اللقب. وهما من ناحية أخرى علمان متميزان لأن لهما دلالات خاصة بنظام "المقامات الزومية". (مدخل...، 116). الميزة الثالثة هي التزام السرقسطي " بلزوم ما لا يلزم على ما سنه سابقا أبو العلاء المعري في لزومياته" (المقامات الزومية...، 61).

وحاول إكناثيو فيراندو إثبات قيمة المقامات الزومية من خلال تتبع ما حظيت به من اهتمام قبل نشرها مطبوعة وبعده، فأشار بصدد ذلك، إلى تعدد مخطوطاتها وتوزيعها على دول عديدة⁽¹⁾ ثم إلى ما جاء بشأنها من إشارات في العديد من كتب التراجم⁽²⁾. ونبه خلال ذلك إلى الحيف الذي لحق بصاحب المقامات الزومية " رغم التقدير الكبير والمكانة المرموقة التي احتلها بين العلماء العرب مما يجعل ذلك مثار تساؤل" (المقامات الزومية...، 61). وقد استمر هذا الحيف برأيه، حتى في العصر الحديث رغم شيوع اسمه " في الدراسات المتعلقة بالنثر الفني العربي " قبل أن تحقق

(1) ذكر منها إيطاليا وألمانيا وفرنسا وتركيا والمغرب.

(2) أشار بصدد ذلك إلى ابن بسام وابن بشكوال والضبي وابن سعيد والأبار .

المقامات اللزومية ————— دراسة أندلسية

مقاماته وتنشر لأول مرة سنة 1982 على يد أحمد بدر ضيف ثم تردف بعمل حسن الوراكلي سنة 1995. وبصدور هاذين العملين "بدأ العلماء سواء من العرب أم من غيرهم يدركون قيمة هذه المقامات وأهميتها الأدبية من خلال قراءة أصولها، وليس من خلال تداول الأقوال المتكررة من مؤلف إلى مؤلف آخر فحسب" (المقامات اللزومية...، 62).

ثم بدأ بعرض أهم ما كتب حول المقامات اللزومية بعد تحقيقها ونشرها من قبل الباحثين العرب ونظرائهم في الغرب فذكر على وجه الخصوص كتاب حسن عباس المذكور أعلاه. واكتفى بوصف الصفحات التي خصصها فيه للمقامات اللزومية بأنها "دراسة دقيقة معتمدة على تحقيق بدر أحمد ضيف". ثم تحدث عن مقالة محمد الهادي الطرابلسي سابقة الذكر فوصفها بأنها "مهمة... ونجد فيها بعد التقدم المعهود للمؤلف ولفن المقامة دراسة عميقة لعناصر الإيقاع في المقامات مع مقارنة إحصائية بمقامات الهمذاني والحريري فيما يخص عدد المقاطع الطويلة في فقراتها. والنتيجة التي يصل إليها صاحب تلك المقالة أن المقامات اللزومية أقوى إيقاعاً وأكثر مرونة من مقامات الهمذاني وأنها تساوي مقامات الحريري من هذه الجهة" (المقامات اللزومية...، 62).

وبدا له أن المقامات اللزومية شهدت "اهتماماً متزايداً" من قبل الأوساط العلمية ونشرت عدة بحوث تناولتها بالدراسة أو الترجمة منها ما كتبه هو ذاته سنة

1991 من مقالات وضمنها" ترجمة إسبانية كاملة لكل المقامة البربرية⁽¹⁾... والمقامة الطريفية⁽²⁾ وأورد بعد ذلك ما أنجزه الباحث الأمريكي جيمس مونرو. فقال إنه كتب مقالين وصفهما بالمهمين، في أولهما "دراسة وافية دقيقة لحياة السرقسطي ومؤلفاته، بالإضافة إلى ترجمة إنجليزية للمقامة البربرية⁽³⁾ وترجم في ثانيهما ثلاث مقامات وهي التاسعة عشرة والعشرون أي الخمرية والثامنة والعشرون في تحقيق الوراكلي⁽⁴⁾" (المقامات اللزومية، 62-63). واعتبر الأعمال التي أنجزها هو ومنرو تمهيدا لما أنجزه، بعد ذلك من ترجمة كاملة للمقامات اللزومية إلى اللغتين الإسبانية والإنجليزية. وذكر أن ترجمته هو إلى الإسبانية قد صدرت بعد، أما ترجمة مونرو فهي على وشك الصدور أو قد تكون صدرت إبان كتابته لمقاله، ثم خصص بقية مقاله للكلام في ما يعترض مترجم المقامات من صعوبات.

ونستنتج مما تقدم أن المقامات اللزومية لم تحظ بعد بدراسة خاصة عميقة ومتكاملة. ولم تتداولها الأقلام بعد بالصورة التي هي جديرة بها باعتبارها أثرا لا يقل قيمة عن مقامات الحريري إن لم تفقها من الناحية الفنية. وقد نبه إلى بعض الخصائص الفنية الأسلوبية كل من الطرابلسي وصاحب كتاب "فن المقامات بالأندلس". فأنجز الأول بحثا لم يعتبره سوى مدخل لدراسة ضافية. واعتمدها الثاني مصدرا أساسيا

(1) Ferrando, La maqama barbariyya de al-saraqusti, Anaquel de Estudios Arabes (1991)119-128

(2) Ferrando, La maqama de Tarifa de al Saraqusti, Al quantara 18 I(1977)137-151.

(3) J.T.Monroe, El Saraqusti, Ibn Al Astarkuwi . Andalust Lexicographer, Poet, and Author of al Maquamat alluzumiyya Journal of arabic littérature 28(1997),1 37.

(4) J.T. Monroe, Al saraqusti ibn Astarkuwi (part II). Journal of arabic littérature 29 (1998),31 58.

لعمله. وتجعلنا هذه القيمة وهذا النقص في التناول بالدراسة نعتقد أن هذا الأثر مادة أساسية لدراسة بعض الظواهر اللزومية التي توفرت فيها، منها خاصة ظاهرة لزوم السجع واللزوم العلائي، أي لزوم حرف واحد قبل الفاصلة في فقرة السجع. ولزوم السجع فيها هو الذي جعلنا لا نهتم به عندما اتخذنا مقامات الحريري سياقاً لبعض الظواهر اللزومية وأخرناه إلى حين تناول اللزومية بالتحليل، خاصة أنه اقترن بظاهرة ثانية رأيناها في الشعر دون النثر. فهذا النص يتيح لنا دراسة ظاهرتين لزوميتين وقد التقتا في فضاء واحد وتفاعلتا دون شك لاعطائه صورته الفنية الكاملة. قد اعتمدنا بصفة أساسية المقامات اللزومية في نسختها المغربية. واستأنسنا بعد ذلك بالنسخة المصرية⁽¹⁾ وينبغي لذلك أن تكون بداية عملنا توضيح ما بين النسختين من اختلاف والنظر خاصة في أمر المقامات التسع التي زادت بها نسخة الوراكلي على نسخة ضيف.

يجرنا البحث في مسألة المقامات التسع الملحقمة بنسخة الوراكلي إلى النظر في طبيعة المخطوطات المعتمدة من المحققين للوقوف على أسباب الاختلاف. ثم تحديد مآتى النصوص التسعة .

(1) انظر بحثنا ظاهرة اللزوم في الأدب العربي إلى القرن السادس الهجري وقد أنجزناه في إطار شهادة دكتورا الدولة بالجامعة التونسية وتمت مناقشته سنة 2004 ونال ملاحظة مشرف جداً من قبل لجنة أعضاؤها الذكارة : عبد السلام المسدي ومحمد الهادي انظر ايلسي وعبد الله صولة ومبروك المتاعي وعلي الغبضاوي.

اعتمد الوراقلي ست نسخ وقطعة مفردة⁽¹⁾ في حين لم يعتمد أحمد ضيف إلا أربعاً⁽²⁾. ويتضح من استعراض قائمتي المخطوطات أن الوراقلي شارك ضيف في استعمال ثلاث مخطوطات وأهمل واحدة هي نسخة ميلانو، وانفرد عنه باعتماد ثلاث مخطوطات هي نسخة فيض الله أفندي ومخطوطة برلين ومخطوطة القرويين ثم قطعة مكتبة باريس. أما وجه الاختلاف الثاني فهو نوع المخطوطة المعتمدة أصلاً للتحقيق. فقد صرح ضيف أنه احترم نسخة الفاتيكان لقدمها، إذ تم نسخها سنة 1252/650، واعتمدها أصلاً لأنها بدت له الأقرب تاريخاً من المؤلف، وقد تكون نسخت عن نسخته. وتبين للوراقلي أن مخطوطة فيض الله أفندي هي أقدم النسخ إذ تم نسخها سنة 536هـ أي قبل وفاة المؤلف. وثبت عنده أنها قوبلت بنسخته فاعتمدها أصلاً في الدرجة الأولى واعتمد، في الدرجة الثانية مخطوطة لا له لي لما بينهما من تشابه تام.

وليس الاختلاف في عدد النسخ واختيار بعضها أصولاً هو الذي يفسر اختلاف عدد المقامات في التحقيق فقد وقف ضيف أيضاً على اختلاف بين بعض النسخ يتعلق بتسع مقامات، فقال في وصفه نسخة الفاتيكان: " وقد اختلفت هذه النسخة مع النسخة (ب) إحدى نسخ لاله لي في تسع مقامات، من المائة 22 إلى

(1) هي مخطوطة خزانة فيض الله أفندي باسطنبول ومخطوطتان من خزانة لاله لي باسطنبول أيضاً ومخطوطة مكتبته الفاتيكان ومخطوطة مكتبة برلين ومخطوطة خزانة القرويين بفاس وقطعة من مخطوطات م...

(2) هي نسخة الفاتيكان ونسختنا مكتبة لاله لي ونسخة من مكتبة الأمير وربانا في ميلانو.

المقامة 40⁽¹⁾ وهي مقامات تتميز بالاهتمام باللغة والاعتناء بعرض الثروة اللفظية، وبها تتم المقامات خمسين مقامة. وتتفق مع بقية النسخ في العدد " (المقامات...، 32) .

والملاحظ أن ضيف لم يحدد المقامات التي لم تظهر في هذه النسخة وعوضتها تلك المقامات التسع فبقي العدد خمسين مقامة. ولا يتضح ذلك إلا عند وصفه للنسخة (ب) وهي إحدى نسختي لاله لي. أما النسخة (أ) وهي نسخة لاله لي الأخرى فيقول إنها " صورة من النسخة (ف) بترتيب مقاماتها وعدد هذه المقامات الخمسين " (المقامات...، 34). وكذلك ماثلت " النسخة ف " "النسخةأ" في ترتيب المقامات وعددها وعناوين المقامات إلا في بعض المواضع، فقد أطلقت على المقامة السادسة والأربعين اسم (البربرية) " (المقامات...، 41).

أما النسخة (ب) فهي المختلفة حقاً عن بقية النسخ لأنها " انفردت برواية تسع مقامات لم يرد ذكرها في المخطوطات الباقية... وهي تقابل التسع الأخرى في بقية النسخ " (المقامات...، 36). وأفرد ضيف هذه المقامات بأن حولها من مواقعها ووضعها في آخر تحقيقه ونص على انفراد النسخة (ب) بها⁽²⁾ .

(1) هي : الحمزية والبانة والجيمية والدالية والنونية وعلى نسق الحروف وعلى نسق الحروف أيضاً وعلى نسق حروف أبجد وعلى نسق حروف أبجد، وهي التي وضعها الوراقلي في الملحق لأنها ليست من نصوص نسخته الأم.

(2) وضع بعد عنوان المقامة علامة (ب) وجعله في الهامش علامة يشير بعدها إلى رقم المقامة المعنية في النسخة (ب) وهي المقامة 41 (مقامة الدب) و42 (الفرسية) و43 (الحمامية) و44 (العنقاوية) و45 (الأسدية) و46 (البربرية) و47 و48 و49 و50 (في النظم والنثر) . وهذا الاعتبار يبدو لنا أن ضيف قد أسقط بعض المقامات من حسابه ليتسنى له الإبقاء على خمسين مقامة مادامت كل نسخة تحتوي على خمسين مقامة مع اختلاف بعضها عن البعض الآخر وهو ما جعل عدد المقامات عند الوراقلي تسعا وخمسين مقامة..

ويتبين من مقارنة ما قدّم به كل من ضيف والوراكلي لتحقيقيهما أن هذه النسخة التي اعتبرها الأول شاذة هي ذاتها التي اتخذها الثاني أصلا في درجة ثانية لمطابقتها لأصله الأول أي نسخة فيض الله أفندي، وبذلك أصبح الاعتماد الأساسي عند ضيف على نسخة الفاتيكان والنسخة المطابقة لها من نسختي لاله لي، بينما كان اعتماد الوراكلي أساسا على نسخة فيض الله أفندي والنسخة الأخرى من نسختي لاله لي لمطابقتها لها وكذلك نسخة برلين. فأصبح بذلك، ما كان أصلا عند الواحد منهما ثانويا عند الآخر، ومن هنا جاء الاختلاف بين التحقيقين وهو اختلاف ناجم في الحقيقة عن كيفية التعامل مع ما بين النسخ من تفاوت، ففي حين تمسك ضيف بعدد الخمسين مقامة وتعامل على أساس ذلك مع ما بين يديه من نصوص، حرص الوراكلي على أن يقدم كل نصوص المقامات التي اجتمعت له، فأضاف إلى المقامات الخمسين ملحقا بالمقامات التسع التي انفردت بها المقامات التي يعتمد عليها أصولا. وثبت لدينا بمقارنة التحقيقين، أن بينهما بعض الاختلاف في النصوص، فقد وقعنا على أن في تحقيق ضيف مقيمتين لم يوردهما الوراكلي هما المقامة 48 والمقامة 49 أما الوراكلي فقد جاءت في تحقيقه إحدى عشرة مقامة لم يوردها ضيف وهي المقامات 27 و28 و38 (القردية) و43 (الطريفية) و44 و45 و46 (الجنينة) و47 و48 و49 و50. وقد أشار فيراندو أيضا، إلى ما بين التحقيقين وما بين المخطوطات من اختلاف، غير أنه لم يوضح وجوه ذلك الاختلاف، واكتفى بالإشارة إلى المقامات التسع الملحقة بتحقيق الوراكلي وما شاب أمرها من شك في نسبتها إلى السرقسطي إذ

قال : " يوجد في تحقيق الدكتور بدر أحمدضيف خمسون مقامة في حين أن تحقيق الدكتور الوراكلي يربو فيه العدد على الخمسين، فيصبح تسعا وخمسين مقامة، إن وجود المقامات التسع الزائدة التي نشرها الوراكلي في ملحق يرجع إلى خلافات في المخطوطات فبالرغم من أن كل مخطوطة فيها خمسون مقامة لا غير، فإن بعضها يحتوي على مقامات غير موجودة في المخطوطات الأخرى وبالعكس مما جعل عدد المقامات لا يزيد على كل حال عن الخمسين مقامة. وقد شك الباحثون في صحة هذه المقامات التسع اعتقادا منهم أنها ليست للسرقسطي بعينه بل لأحد تلاميذه⁽¹⁾ " (المقامات اللزومية...، 60).

ويدفعنا وجود هذه المقامات ، وخاصة ما لها من أهمية فنية، إلى طرح سؤال يبدو لنا هاما يتعلق بكيفية تفسير أن تكون المخطوطة التي اعتمدها الوراكلي أصلا لتحقيقه قد نسخت قبل وفاة السرقسطي وعرضت على نسخته ولا تشتمل على هذه المقامات؟ ومع ذلك يتمسك الوراكلي بها ويلحقها بنسخته مؤكدا نسبتها إلى السرقسطي بالاعتماد على خصائصها الفنية، إذ يقول: " نظرا لاقتناعنا بعد الدرس والتحليل، بأن هذه المقامات ليست من إضافات المتأدين من النساخ كما قد يتبادر إلى الذهن، بل هي إنتاج قلم أبي الطاهر لأن فيها ما في باقي المقامات اللزومية التي اشتملت عليها النسخ التي اتخذناها أصولا للكتاب من خصائص ومميزات في الشكل

(1) يحيل بهذا الشأن على كتاب حسن عباس " فن المقامة في القرن السادس " ، الإسكندرية ، دار المعارف، 1986، ص 50-59-250-269.

المقامات اللزومية دراسة أندلسية

والمضمون...، أقول نظرا لاقتناعنا بهذا فقد جعلنا هذه المقامات الحاقا بآخر الكتاب " (المقامات الزومية...، 12).

ونظرا لاقتناعنا نحن أيضا بما اقتنع به الوراكلي واعتبارا لما لهذه النصوص من قيمة فنية، والتزاما ببعض خصائص منهجنا في الدراسة، نرى أنه ينبغي اعتماد هذه المقامات جزءا من نص السرقسطي ومعاملتها نفس معاملاتنا لبقية المقامات في كل دراسة أو بحث تكون المقامات اللزومية موضوعة⁽¹⁾.

(1) ذاك ما فعلناه في بحثنا " ظاهرة اللزوم... " آنف الذكر .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر :

- السرقسّطس ، أبو الطّاهر : المقامات اللّزوميّة .
- 1-تحقيق أحمد بدر ضيف، الهيئة المصرية للكتاب 1982.
- 2- تحقيق وتعليق حسن الوراكلي، منشورات عكاظ. الرباط 1995.

المراجع :

- الحسيني ، عدنان قصي ، فنّ المقامة بالأندلس — دار الفكر، عمّان ط1 1999 .
- خضر، حازم عبد الله، النثر الأندلسي في عصر الطّوائف والمرابطين، وزارة الإعلام ، بغداد ، 1981.
- الدّاية، محمّد رضوان : تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، دار الأنوار، بيروت 1968 .
- الطّرابلسي ، محمد الهادي : مدخل إلى دراسة المقامات اللّزوميّة — حوليات الجامعة التّونسيّة 1988-28.
- طرشونة، محمود : فنّ المقامة في الأندلس ، حوليات الجامعة التّونسيّة 28-1988.

المقامات اللزوميّة - دراسة أندلسية

- عبّاس حسن : فنّ المقامة في القرن السّادس - دار المعارف ، مصر 1986.
- هذّارة، محمد مصطفى : المقامات اللّزومية - مصر .
- فيراندو، إنكاثيو : المقامات اللّزوميّة لأبي الطّاهر السرقسطي، دراسات
أندلسية عدد 27 - جانفي 2002. ص ص 57-66 .